وهي أن الشعر بعد الإسلام ظل جاهلياً على نحو ما كان قبله ، وأن جريراً كالنابغة أو أن القطامي كزهير ، وهكذا . . ونحن لانريد أن نكرر ما سبق أن عرضنا له من قبل من حيث بروز الوجه الاسلامي فى الشعر مصوراً لكيان الحياة الاسلامية وانصراف الشعر إلى الوجهة التى تخدم تلك الحياة . . ولكن الذى ينبغي أن نقف عنده فيما يصور تلك الفكرة الرئيسية من رأى الباحث ، وهى أن نهج الشعر العربى لم يتغير ، وأن التغير الذى حدث إنما هو تغير يسير . فالذى نراه هو أن مؤرخ النقد العربى إنما يتجنى على الحقائق كلها حين يرى الشعر الإسلامي شعراً جاهلياً مادام لم يتغير فيه النهج الشعرى . . وقد قلنا إن الإتجاه النقدى بعد الإسلام قد وجه الشعر توجيها كفيلا ببيان أثر الإسلام ، ذلك الأثر الذى لم يكن ضئيلا طالما أدى الشعر رسالته ، وسار فى ركب الحياة الجديدة ، ومضى يعبر عنها فى نطاق غنائيته . . والشعر العربى كله شعر غنائى لم يتحول هذا على توالى العصور بالرغم من تتابع المؤثرات القوية ، وتلاحق العوامل الفعالة فى الأدب العربى مع اتساع الثقافات واختلاف البيئات وامتزاج الشعوب وتباين العقول . . فاذا كانت هذه هى الطبيعة العامة للشعر العربى ، فلماذا نظلم الشعر فى صدر الإسلام حين نراه جاهلياً ما دام لم يخرج عن غنائيته ، وإنما ظل فى حدود الشعر الغنائى ، وإذا كانت الغنائية هى الفيصل فى ذلك الحكم أو هي الباعث القوى عليه ، فان الشعر العربى الغنائى على توالى العصور كلها لا يمكن أن يكون هو الآخر إلا شعراً جاهلياً أو جاهلى الروح . .

نقول ، إن من التعسف أن نحمل الشعر العربي فى صدر الإسلام هذه الأعباء ، ونكلفه فوق ما يحتمل ، ونطلب الكثير منه ، فنطالبه بأن يتحول إلى ملاحم أو قصص شعرى أو شعر تمثيلى . فلايعيب الشعر العربى أن يعرف ذلك لأن الآداب الأخرى قد عرفت هذه الألوان . ولأنه من دون ذلك يسقط كل أثر للاسلام فيه ، أو تضمحل كل رغبة له فى التطور . وهذه هى السبيل التى سار فيها الناقد المؤرخ هنا . فقوة النسيب بعد ما كان عليه من ضعف فى الجاهلية لا يعد شيئاً ، وقل مثل هذا فى غير النسيب من ألوان ، بل إن كل شىء « موجودة نواته من قبل ، وليس من شىء . إلا أنه تكيف الآن ،